شَجَرَةُ
الأَنبِيَاءِ
- ٥ -

صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

النَّاقَةُ المعجِزَةُ

منصور الرفاعى عبيد د/ إسماعيل عبد الفتاح رزق السيد هيبة

رسم صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت : ٢٧٥٢٩٨٤، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٢٢٩,٥ منصور الرفاعى عبيد.

م ن ص/ا صالح عليه السلام: الناقة المعجزة/ منصور الرفاعى عبيد، إسماعيل عبد الفتاح، رزق السيد هيبة؛ رسم صفوت قاسم.- القاهرة: دار الفكر العربى ١٩٩٨.

٢٤ ص : إيض؛ ٢٤ سم.- ([سلسلة] شجرة الأنبياء؛٥)

تدمك : ٤ - ١١٢٩ - ١٠ - ٩٧٧.

١ - قصص الأنبياء. أ- إسماعيل عبد الفتاح، مؤلف مشارك. ب- رزق السيد هيبة، مؤلف مشارك. جـ- صفوت قاسم، رسام. د- العنوان. هـ- السلسلة.

صف كمبيوتر عادل أحمد العزب

رقم الإيداع	٩٨ / ٨١٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

يَقْرِنُ القُرآنُ الكَريمُ كَثيراً قومَ عاد وَقومَ ثَمُودَ في سِيَاق مَا يَقُصُّهُ علينا مِنْ أَخبَارِهِمْ، لتقارُبِ زمَانهِمْ ومكانهِمْ، وَللشَّبَهِ الكبيرِ بَيْنَ مَسلكِهِمْ في الحَياة، وَالتَّماثُلِ الواضحِ بينَ أنواعِ العَذَابِ الَّذي أَصَابَهُمْ، وَالعَاقِبَةِ الَّتي آل إليْهَا أمرهُمْ.

وَقدْ تَعرَّفْنا في القصَّة السَّابقَة عَلَى قَومِ عَاد، وَعرَفْنَا مَا صَنَعُوهُ معَ نَبِيِّهِمْ هُود عَليه السَّلامُ، وَنُتَابِعُ عَلَى هَذه الصفَحَاتِ ذكرَ ثَمُودَ، وَمَا كَانَ منهم مع نَبيِّ اللهِ صَالحٍ، عَليْهِ وَعَلَى جَميعِ الأنبياءِ وَالرُّسُلِ صَلاةُ اللهِ وَسَلامُهُ.

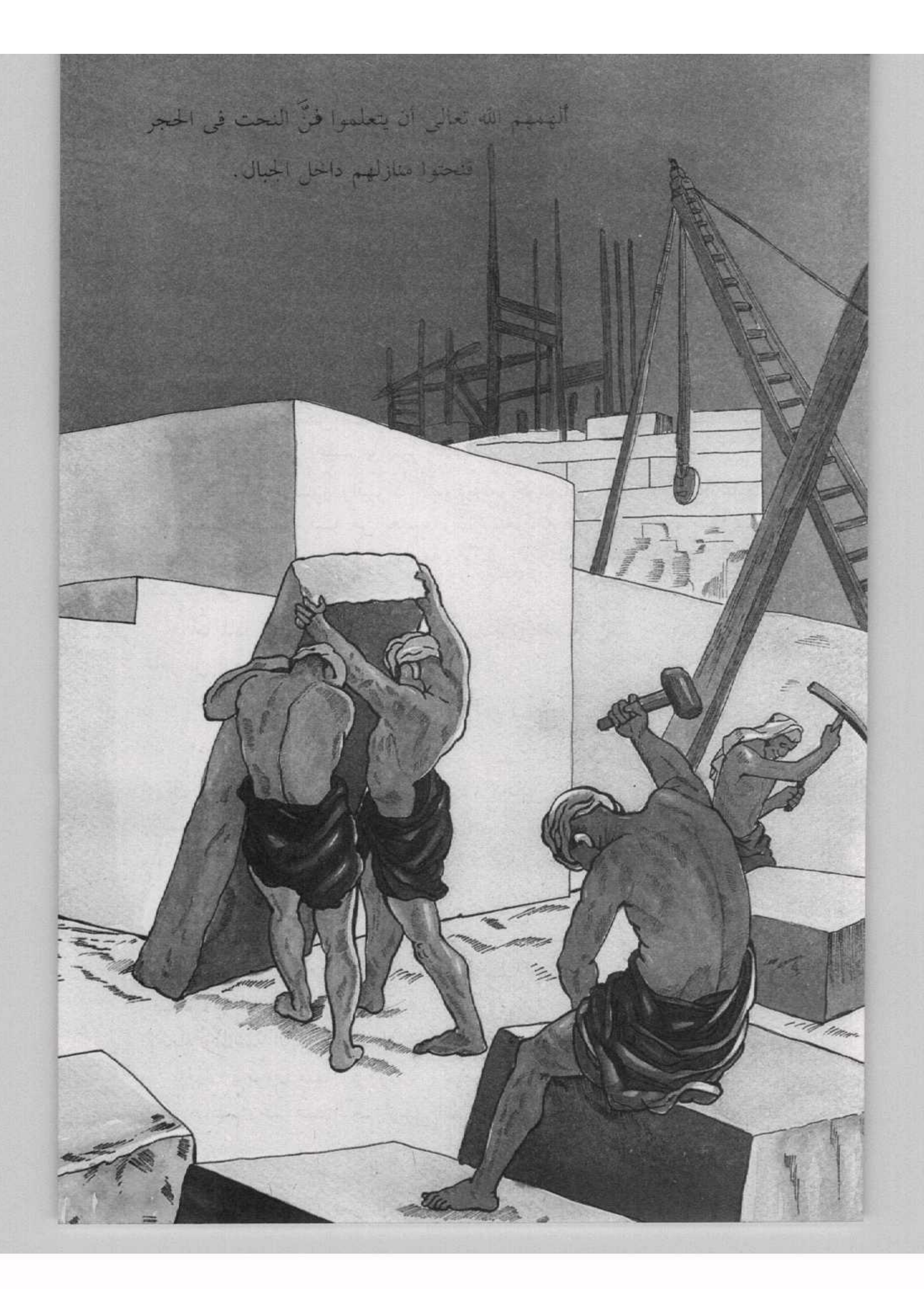
مَدَائِنُ صَالِحٍ

يَقُولُ المؤرِّخُونَ أَنَّ ثَمودَ، قومَ صَالحٍ، عَلَيْهِ السَّلامُ، كَانُوا يَعيشُونَ في مَوقعٍ، لاَ يزَالُ مَوجُودًا حتَّى اليَومِ، وَمَا زَالَ يُطلَقُ عليه الاسمُ الَّذي يُشيرُ إلَى سُكَّانه القُدامَى «مَدائنُ صَالحٍ» في مَنطقَةِ العُلاَ، القَريبَةِ مِنَ المدينَة المنَوَّرة في المَمْلكَةِ العَربيَّة السُّعوديَّة، عَلَى الطَّريقِ بينَ المدينَة المنورَة وَتَبُوك.

وكَانَتْ ثَمودُ قومُ صَالحٍ مِنَ العمَالقَةِ الَّذينَ عَاشُوا بَعدَ عَاد، وكَانَتْ لُغتهُمْ هي النَّبطيةُ التي نُقشَتْ حُرُوفُهَا عَلَى بقَايَا آثارِهِمْ، وكَانَ هؤلاء القَوْمُ يعبُدونَ الأَصْنَامَ، ويَجعَلُونَهَا وَسيطًا بينَهم وبينَ اللهِ تعَالَى، ويقُولُونَ كَمَا يَقُولُ المشركُونَ: ﴿إنَّما نَعبدُهُمْ ليقرِّبُونَا إلَى اللهِ زُلْفَى﴾ فَيقدِّسُونَهَا، ويقدِّمونَ لهَا القرَابينَ، وكَانُوا يُطلقونَ عَليهَا عدَّةَ أَسماء: فَهذا اسْمُهُ اللاَّتُ، وذَاكَ اسْمُهُ عَمَنْدُ، كَمَا كَانَ هُنَاكَ مَنُوتُ، وقَيسٌ، وذوُ الشَّرَى، وَهُبَلُ.

كَانتْ مساكنُ ثمودَ قلاعًا وحَصونًا يَصْعُبُ اقْتحَامُهَا أو اقْتلاعُهَا، أو الدُّخُولُ إليهَا إلاَّ منْ بَابهَا، وَتلكَ ميزَةٌ كُبرَى، وَنعْمةٌ جَليلةٌ تفضَّلَ اللهُ بهَا عَليهمْ، فَأضفَتْ عَلَى حَياتهمُ الأمنَ والسَّكينةَ وَالاطمئنَانَ، ومعَ ذَلكَ كَانُوا يقابلُونَ نعمةَ اللهِ عَلَيْهِمْ بِالكُفْرِ وَالجحُودِ وَالنُّكرانِ، وَيَعبُدونَ الأَصنامَ مِنْ دونِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ.

كان قوم ثمود يعبدون الأصنام ويجعلونها وسيطا بينهم وبين الله تعالى.


ألهمهم الله تعالى أن يتعلموا فنَّ النحت فى الحجر
فنحتوا منازلهم داخل الجبال.

أما كَيفَ كَانُوا يُقيمونَ هَذه المسَاكنَ الآمنةَ، فَتلكَ مَوْهبَةٌ مِنْ اللهِ رَبِّ الْعَالمينَ، إذْ ألهَمَهُمْ أنْ يتعلَّمُوا فَنَّ النَّحْت فِي الحَجَر، فنحَتُوا منازِلَهُمْ دَاخلَ الجبَال، فَكَانَتْ كَالسراديب والمغَارَات والكهوف فِي جوْف الجبَل، وبابُهَا الخَارجيُّ فِي صدْر الجبَلَ، ولَمْ يكُونُوا فِي حَاجَةٍ إلَى موادِّ البنَاء المعروفة للنَّاسِ مِنْ حجَارة وأَخشَاب وحديد وغيرهَا منَ المَوادِّ التِى يَبنِى النَّاسُ منهَا منَازِلَهُمْ، إذْ كَانتِ الجبَالُ مِّنَ الدَّاخِلِ هِى جُدرَانُ البيُوتِ التِى تتكوَّنُ منهَا الغرَفُ والحُجُرات، أمَّا وَاجِهَاتُ المَنَازِلَ منَ الخَارِج فكَانَت أبوابًا عمْلاَقَةً دَاخلَ الجبَلِ، لاَ يمْكنُ لِعدُوٍّ أنْ يقتَحِمَهَا ولاَ للِصٍّ أنْ يَفتحَهَا، فَكَانَت السَّكِينَةُ وَالأمْنُ مِنْ أعظَمِ مَا يميزُ هَذه المَسَاكنَ.

ولاَ تزَالُ القُصُورُ وَالبيُوتُ الثَّمُودَيةُ مَوْجودَةً إلَى الآنَ، شَاهدةً عَلَيهِمْ، دَالَّةً عَلَى مَا كَانُوا فيه من نَعيم، ومَا تمَتَّعُوا به مِنَ اطْمِئنَان، منهَا قَصر البِنْت، وَقَصرُ الضِّيافَةَ، والقَلْعَةُ، والبرجْ، وَالمَقَابِرُ، وَغيرُهَا مِنَ الآثار الثَّمودَية فِى مَدائنِ صَالحَ.

أمَّا لماذَا كَانَ اسْمُ القَبيلة ثَمُودَ، فَلأنَّ هَذا هُوَ اسْمُ جَدِّهِمْ ثَمودَ بنِ عَامرِ بْنِ إرمَ بنِ سَامٍ، بن نُوحٍ عَليهِ السَّلاَمُ.

بَعثة صَالِحٍ إلَى ثَمودَ

أمَّا نَبيهُمْ فَهوَ صَالحُ بنُ عُبيد بن آصفَ بنْ مَاشخ بن حَاذر بنِ ثَمودَ. أىْ أنَّ اللهَ أرسلَهُ من وَسَط قَبيلَة ثَمودَ، وعَاشَ فيهَا، وأضَاءَ اللهُ قَلْبَهُ بنورِ الإيمَان، فَتعرَّفَ إلَى اللهِ، وآمنَ بأنهُ وَاحدٌ لاَ شريكَ لَهُ، وأنهُ لاَ مَعْبودَ بحَقٍّ سوَاهُ، وَأنَّ قَوْمَهُ يَعيشُونَ عَلَى عَقائدَ فَاسدة، وَيتقرَّبونَ إلَى آلهَةٍ مَزعُومَة لاَتُغنى عَنهُمْ مِنَ اللهِ شَيئًا.

وَلما زَادَ القَوْمُ فِى طُغيَانهمْ وكُفْرهِمْ، وَجُحُودهِمْ لنعَمِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، حَيْثُ مَدَّ اللهُ لَهُمْ فِى الأعمَار، وأسكَنهُمْ القُصُورَ وَالبيُوتَ المَنحُوتَةَ فِى الصَّخر، وَأفَاءَ عَليهِم منَ الخيْرَاتِ الوفيرة، وبَارَكَ لَهم فيهَا، وَأعطَاهُمْ مِنَ الأنعَامِ والمَاشيَة الكَثيرَة مَا يَملأُ حَيَاتَهُم بالرَّفَاهية وَالرَّخاء، وَفجَّرَ لَهمُ العُيونَ منَ الجبَال يرتَوُونَ منهَا ويروونَ زروعهُم وجنَاتهم، ويَسقُونَ مَواشيهُمْ. لَمَّا زَادَ طُغيَانُهم رَغمَ هَذهِ النِّعمِ أرسلَ اللهُ إليهِم رَسُولاً منهُمْ يُذكِّرهُمْ بِنعمَةِ اللهِ

عليهم، ويعظهم، ويبين لهم آيات ربهم، ويطلب منهم أن يستخدموا عقولهم في التفكير السليم في شئون العبادة والصلة بالله رب العالمين.

قال لهم صالح: يا قوم، ليسأل كل واحد منكم نفسه، أو ليسأل الآخرين من حوله: هذه الآلهة المتعددة التي لا تضر ولا تنفع، هل هي خير أم الله الواحد القهار؟ هل هذه الأصنام التي تصنعونها بأيديكم، وتكسرونها إذا أردتم، بأيديكم أيضًا، يمكن أن تكون آلهة تخلق أو ترزق، أو تحيي أو تميت؟ إنها أشياء مصنوعة بأيدي بشر، من أدوات وهبها الله للبشر، فكيف يمكن لهذا المصنوع أن يكون صانعًا، وهل هذه الأدوات التي صنعتم منها أصنامكم يمكن لها أن تصنع إنسانًا مستقيم القامة، سوي الخلقة، فتجعل له عينين، ولسانًا وشفتين؟ إن هذا لهو الجهل والسفاهة، والضلالة العمياء، والباطل الذي لا باطل فوقه.

الناقة المعجزة

رأى القوم إصرار صالح عليه السلام على الاستمرار في دعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ لأنه الله الذي لا إله إلا هو، ولارب سواه، فقالوا:

يا صالح، هل أنت رسول من رب العالمين حقًا؟ وهل أنت نبي صدقًا؟

وفرح صالح لمغزى سؤالهم، وظن أن هذا السؤال هو بداية الهداية فقال:

نعم يا قوم، أنا رسول الله إليكم، أرسلني لكي أخبركم بالصدق، وأهديكم إلى الحق، وإلى صراط مستقيم، وإني لكم من الله نذير مبين.

قالوا: يا صالح، هات لنا البرهان، وقدم الدليل على صدق دعواك، وإلا كنت في رأينا من الكاذبين.

وبانت أمارة الابتهاج على ملامح وجه صالح، فها هو الحوار يسير في طريق صحيح؛ ولأنه يثق بتأييد الله له، وبأنه سيوحي إليه بالدليل الذي يقيم عليهم الحجة، ويجلو عن أعينهم الغشاوة، سايرهم في الحوار، فقال لهم:

وَمَا الآيَةُ التى تَطلبُونَ؟ والمعجزةُ التى تُريدُونَ؟ وَهلْ تؤمنونَ حقًّا إذَا أتيتُكمْ بِالدليلِ، وهلْ تُخلصونَ للهِ العِبَادةَ إذَا قَامت الحجَّةُ بصدقِ دعوتى؟

قَالُوا: ائتنَا أولًا بالآيةِ الَّتى نُريدُ، وَسوفَ نكونُ لَكَ منَ المصدِّقينَ.

وكَانَ لَهمْ مَطلَبٌ يَظنُّونَ أنهُ فوقَ قُدرة صَالحٍ، ولنْ يأتى به مَهمَا كَانَ صادقًا فى دعواه؛ لأنهُ فِى نَظرِهمْ مَطْلَبٌ عَسِيرٌ، وَهُمْ لاَ يَدرُونَ أنَّ ذَلكَ عَلَى اللهِ يَسيرٌ.

قَالُوا: يَاصَالحُ، هَلْ تَستَطيعُ أَنْ تحولَ هَذَا الجَبلَ الضَّخمَ الَّذى أَمامكَ، إلَى نَاقة ضَخمَة نَراهَا بأَعْيننَا، ونَحلبُهَا بأيدينَا، ونَشربُ لبنَهَا؟ إنكَ إنْ فَعلتَ ذَلكَ يا صَالِحُ، صَدَّقْنَا أنكَ منَ النَّبيِّينَ، وسنَخرُّ للهِ سَاجدينَ.

وَهبطَ مَلكُ الوَحْىِ إلَى صَالحٍ عَليه السَّلامُ، قَالَ لَهُ: يَا صَالحُ، إنَّكَ إنْ شَاءَ اللهُ منَ المنْتَصرينَ، وسيُؤيِّدكَ اللهُ بالمْعجزَة التى يَطْلُبُونَهَا، فَاضربْ لَهمْ مَوعدًا، وَحدِّدْ لَهمْ وَقتًا مَعْلُومًا يَجتمعُونَ فيه، وَادْعُ اللهَ أنْ يُظهرَ لهُمُ البَينةَ، وَسيرَوْنَ سَاعتَهَا أنكَ منَ الصَّادقينَ.

وضَربَ لَهمْ صَالحٌ مَوْعدًا، وحدَّدَ لَهمْ وقتًا معلُومًا، تَجمَّعتْ فيه القَبيلةُ كُلُّها، الكَبيرُ والصَّغيرُ، الغنىُّ والفقيرُ، الرَّجَالُ والنِّسَاءُ وَالولْدانُ، وكَانَ يومًا مَشهُودًا، أظهَرَ اللهُ فيهِ المعْجِزَةَ، وَأوضحَ الدَّليلَ، وَجاءهُمْ نبيهُمْ بِالبرْهَانِ.

وَقَفَ الجميعُ أمامَ الجبلِ، وتقدَّمَ صَالحٌ خَطوات، وَدعَا ربَّهُ، ثم قَالَ للجَبلِ:

باسمِ اللهِ العَظيمِ القَدير، أيُّها الجبَلُ الضَّخْمُ الكَبيرُ، إنَّكَ خَلْقٌ منْ خَلقِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ، مُسخَّرٌ بِقُدرة اللهِ وَحدَهُ، وبَاسمِ اللهِ آمرُكَ أن تُخرجَ منْ بين صُخورِكَ - بأمرِ اللهِ وبِإذنهِ - نَاقةً ضَخْمةً، لِتكونَ آيةً ودَليلاً



لهؤلاء القوم، بأنه لا إله إلا الله، هو وحده الخالق القادر، وأنه لا معبود سواه، وأنه لا تعنو الوجوه، ولا تخشع القلوب، ولا تسجد الجباه، إلا له وحده، جل شأنه، وتبارك في علاه.

ولم يكد صالح ينتهي من دعائه وحديثه، حتى تمخض الجبل، واهتزت جوانبه وخرجت من بين صخوره ناقة ضخمة، تمشي أمام أعين الناس، وهم مبهوتون، لا يتكلمون وكأنهم ملجمون.

لكل قوم معجزة توافق حالهم

طلب القوم من صالح أن يأتي بمعجزة، فكانت الناقة هي المعجزة.

ولكن لماذا الناقة؟ ولماذا تكون من الجبل بالذات؟

إن المعجزة هي أمر خارق للعادة، يجريه الله سبحانه وتعالى على يد إنسان يدعى النبوة، تأييدا لدعوته، وتصديقا لرسالته.

فإذا كان القوم بارعين في السحر، جاءت المعجزة من نوع سحرهم، وإذا كانوا بارعين في الطب كانت المعجزة من جنس طبهم؛ لأن في المعجزة تحديا، والتحدي لا يكون إلا في شيء قد بلغ فيه القوم غاية لم يبلغها غيرهم.

وكان قوم صالح، بارعين في النحت، وفي تسخير الجبل لخدمتهم، وكما ذكرناه قد نحتوا فيه بيوتهم وقصورهم، فكان بالنسبة لهم هو المأوى والمأمن، وهو من الحجر، ولذلك سميت ثمود بأهل الحجر، أو بوادي الحجر، فكانت معجزة صالح عليه السلام، من نفس الحجر، ولكنها معجزة لا يستطيع أحد أن يصنعها، سوى الله عز وجل الخالق القوي، الذي يقول للشيء كن فيكون؛ لأنها تمثلت في تحويل الحجر الجامد الأصم، إلى مخلوق حي يأكل ويتنفس، ويملأ الحياة بالحركة والنشاط.

خرجت الناقة تسير في شموخ وكبرياء، وتوجهت نحو صالح عليه السلام، وقد ألجمت الجميع الدهشة والذهول. وصاح المستضعفون في فرح وابتهاج:

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، آمنَّا بربِّ صَالحٍ، آمنَّا باللهِ رَبِّ العَالمينَ.

وأُسقطَ فى يَدِ كبارِ القَومِ، ولَمْ يَستطيعُوا أَنْ يكَذِّبوا صَالحًا، وفى الوَقْتِ نَفسه، لَمْ يَستَطيعُوا أنْ يعلِنُوا كفرَهُمْ، فَوافقُوا المؤمنينَ، ولَمْ يعترِضُوا، وقَالَ لهُمْ صَالِحٌ:

هَذه نَاقةُ اللهِ لَكمْ آيةً ومُعجِزَةً، فَاتركُوهَا تَأكُلْ فى أَرضِ اللهِ، ولاَ تمسوهَا بَسُوءٍ، حتَّى لاَ يُنزِلَ اللهُ عليْكم انتقامَهُ، إِذَا أصِيبَتْ منْكمْ بِضررٍ، أوْ نَالهَا منكم مَكْروهٌ.

وَخافَ القَوْمُ منْ هَولِ المفَاجأةِ، ورَأَوُا النَّاقَةَ تَسيرُ إلَى المكَانِ الَّذى يَشربُ منهُ النَّاسُ، ومدَّتْ عنُقَهَا إلَى البئرِ تَشربُ، ولكنهُ شُربٌ عجَبٌ، فقَدْ أتتْ علَى كُلِّ الماءِ الموْجُودِ فى البئرِ، فَفزِعَ كبَارُ القَوْمِ منْ تلكَ البدايةِ، وكَيفَ يَعيشُونَ مَعَ نَاقةٍ تَشربُ كُلَّ الماءِ الذى يَعيشُونَ عَليْه ولَيسَ عَندهُمْ سواهُ.

فَقَالَ لَهمْ نَبىُّ اللهِ صَالحٌ: إنَّ هذه معجِزةُ اللهِ إليْكُمْ وقدْ طَلبتُموهَا بأنفُسكمْ، وأَنتم تَرونَ مَا قَدْ فَعلَتْ، وَظَهرَ الفَزعُ علَى مَلامحكُمْ، ولَكنْ أُطَمئنكُمْ فَلاَ تفزعُوا، إنَّ هذه النَّاقَة لَهَا حَقٌّ عليْكُمْ، كَمَا أَنَّ لكمْ عَليْهَا حقًّا، فمنْ حَقِّهَا أَنْ ترتوى حَتَّى تكتفى، ومَنْ حقِّكُمْ ألاَّ يكُونَ ريُّهَا سَببًا فى عَطشكُمْ أوْ مَتاعبكُمْ، وإنَّ للهِ فى الأمرِ حُكمًا قَدْ أَوحَاهُ إلَىَّ، إنَّ الماءَ سَيكُونُ قسمةً بينكمْ وبينَ هَذه النَّاقَة، إنهَا ستَشْربُ يومًا، وتَشربُونَ أنتم وحيوانَاتُكمْ فى اليوْمِ الَّذى يليه، فَلاَ تَضرُّونَهَا ولاَ تَضرُّكُمْ.

فَبدت الدَّهشَةُ أَكثرَ علَى وُجوهِ القَوْمِ، وقَالُوا: يَا صَالحُ، ومَاذَا نَفعلُ فى اليوْمِ الَّذى يكونُ الماءُ فيه منْ نَصيبِ النَّاقَةِ؟ هَلْ نموتُ نَحنُ وأَبناؤُنَا عطشًا حَتَّى يأتِىَ اليومُ التَّالى الذَى سَيكونُ الماءُ فِيه مِنْ نَصيبنَا؟

فَابتسمَ نبىُّ اللهِ صَالحٌ، وقَالَ لَهمْ:

لاَ، لَنْ تموتُوا عطَشًا، فَإنَّ هذه المعجزَةَ باقيةٌ مَعكمْ، واليومُ الَّذى لاَ تَشربُونَ فيه تستَطيعُونَ أنْ تحلبُوا النَاقَةَ وتشْرَبُوا اللبَنَ منْ ضَرْعِهَا، وسيكفى مَا يكُونُ فيهمَا منَ اللبنِ أَنْ يرويكُمْ جميعًا، وفِى اللَّبنِ مَا تعْلَمُونَ منْ رِىٍّ ومَنْ غذَاءٍ، وهَذَا فضلٌ ونعمةٌ منَ اللهِ رَبِّ العَالمينَ.





كُفْرٌ مُسْتَمِرٌ

وَاستمرَّت المعْجزةُ حَيَّةً باقيةً بينَ ثَمودَ قومِ صَالحٍ، زمنًا طَويلاً، هيَ تَشربُ يَوْمًا، وَهُمْ يشربُونَ يومًا، وَفِي اليومِ الذي لاَيَشربُونَ فيه المَاءَ يكُونُ لبنُ الناقة هوَ ريهم وطعامُهُم، يَحلبونَهَا، وَيأخُذُونَ منهَا كِفَايَتهُم منَ اللَّبنِ العذْبِ السَّائغِ لِلشَّاربينَ.

وَظَلُّوا عَلَى تلكَ الحَالِ زَمنًا، حَتَّى مَلَّ القَوْمُ منَ المعجزَةِ الحيَّة الباقية بينَهمْ، وَانتشَرَ الخَوْفُ والانزعَاجُ بَينهمْ، وتَآمروا وسَاءَلُوا أنفسَهُمْ، كيفَ يهادنونَ صَالحًا، ويُظهرُونَ لَهُ الإيمَانَ لمجرَّد خُروجِ النَّاقة، تَشربُ كلَّ الماء وحدَهَا فِي يومٍ، وتتركُهم يَشتهونَ شَربةَ ماءٍ مهمَا كَانَ اللبنُ مغذيًا ورَاويًا لنفُوسِهمْ، فَأعلَنُوا الكُفرَ بعْدَ التظَاهُرِ بالإيمَانِ، وعَادُوا إلَى حَالِهمُ الأُولى مِنْ تكَبرٍ وطُغيانٍ.

وَبذلَ صَالحٌ كُلَّ جهدٍ فِي تَذكيرِ القَومِ بنعمَةِ اللهِ عَليهِمْ، وحذَّرهُمْ أَن يقربُوا النَّاقةَ بسُوءٍ، قَالَ لهُم:

إياكُمْ أَن تمسُّوا النَّاقةَ بسوءٍ، فَيحلَّ عليكم غَضبُ اللهِ، ويَصيبكُمْ عَذابُ يومٍ عظيمٍ.

ولكنَّ المَلأَ المستكبرينَ منْ قَومه أَخذَهُمُ العنَادُ، ولجُّوا فِي الإصْرارِ علَى العصيَانِ، وعزَّ عليهمْ أَن يفقدُوا زَعامتَهم فِي قَومهم، ولَم يستسيغُوا أنْ يكُونوا مُؤمنينَ عَلَى يدِ بَشرٍ مثلهمْ، وَاستمرُّوا فِي الإصْرارِ عَلَى الكُفرانِ والعصيانِ، وَاجتمعَ كبَارُهُمْ، وشَاورَ بعضُهم بعضًا، وَأجمعُوا أمرَهمْ عَلَى أنْ يَقتُلوا النَّاقةَ، وهمْ الَّذينَ طَلبوهَا منْ قبلُ لتكُونَ آيةً ودليلاً عَلَى صدقِ صَالحٍ عَليه السَّلامُ.

وَنجحَ القَوْمُ فِي تجنيدِ تسعةٍ منهُمْ، كَانُوا مشهُورينَ بفعلِ الشَّرِّ وَالإفسَادِ فِي الأرْضِ، ورَغبُوا فِي الزَّوَاجِ مِنْ أَجمَلِ نسائهمْ وأشرفهنَّ، وَإعْطائهمُ المالَ الَّذي يرِيدُونَ إذَا نفذُوا المؤامَرةَ، وَأفلحُوا فِي قَتلِ النَّاقة. .

ولكِنْ. . لماذا يتآمرُونَ عَلَى قَتلِ النَّاقةِ، وَهُمْ لَمْ يروْا فِي وُجودِهَا مَعهُمْ إلاَّ الخيرَ الكثيرَ، والنعمةَ الغَامرةَ؟

يقولُ لهُم زَعيمهُم:

يَا قَوم، إنَّ هذه النَّاقـةَ كَانَتْ سببًا فى إيمَـان الكَثيرينَ بدعـوة صَالحٍ وَالتفافهم حوله، كَمَا أنَّ وجُودهَا قَدْ أَصبحَ يهدِّدُ مَصَالحَ الكَبار منكُم، فهى السَّببُ فى انصـرَاف الفُـقـراء عَن العَـمل بالسُّـخـرَة فى أرَاضى الأثرياء، ومتاجرهم، كمَا أنَّ وَجُودهَا بيْنَنا يزيدُ إيمَانَ المؤْمنينَ، ويشعلُ نَارَ الغيظ فى قُلوب الكافرينَ، وهذا سَوفَ يفرِّقُ جَماعَتَكُمْ، ويُصيبكُم بعدَ ذلكَ بالتشتت والخذْلان.

ولَمْ يمرَّ وقتٌ طويلٌ حتى تجمَّعَ هؤلاء التِّسعةُ الذينَ اختارَهُم القَوْمُ لتنفيذ المؤامرة، ورَصَدوا وقتَ حضورِ النَّاقة إلَى الماء لتشرب، وأعدُّوا الخطةَ المَناسبَةَ لقتْلهَا.

وجاءت النَّاقـةُ إلَى الماء فى الوقت الَّذى تعوَّدتْ أن تجىءَ فيه، فـرمَاهَا وَاحدٌ منهُمْ أصَابهَا، وتقدَّمَ آخرُ بسيفه فكشَطَ عَنْ عرقوبهَا ثم ذَبَحَهَا.

وانكبَّ التِّسعةُ الأشْـرارُ علَى النَّاقة فسلَخُوهَا، وقطَّعُوا لحـمهَا ووزَّعوهُ علَى كبَار أثرياء قبيلَتهم «ثَمُود».

وبعدَ ذَلكَ حاولُوا قتلَ نَبىِّ الله صَالحٍ وأهله والذينَ آمنُوا معَهُ..

ولْنقرأْ قولَ الله عزَّ وجلَّ عَنْ ثَمودَ فى كتابه الكَريم:

﴿ وإلَىٰ ثمود أخاهمْ صالحا قَالَ يا قوْم اعْبُدُوا اللَّهَ ما لكُم مّنْ إله غيْرُهُ قدْ جاءتْكُم بيّنةٌ مّن رّبّكُمْ هذه نَاقةُ اللّه لكُمْ آية فذرُوها تأْكُلْ فى أرْض اللّه ولا تمسُّوها بسُوء فيأْخُذكُم عذابٌ أليمٌ (٧٣) واذْكُرُوا إذْ جعلكُم خُلفاء من بعْد عاد وبوّأكُمْ فى الأرْض تتّخذُون من سُهُولها قُصُورًا وتنْحتُون الْجبال بيُوتًا فاذْكُرُوا آلاء اللّه ولا تعْثوْا فى الأرْض مُفْسدين (٧٤) قال الْملأُ الّذين اسْتكْبرُوا من قوْمه للّذين اسْتُضْعفُوا لمنْ آمن منْهُمْ أتعْلمُون أنّ صالحًا مُرْسلٌ مّن رّبّه قالُوا إنّا بما أُرْسل به مُؤْمنُون (٧٥) قال الّذين اسْتكْبرُوا إنّا بالّذى آمنتُم به كافرُون (٧٦) فعقرُوا النّاقة وعتوْا عنْ أمْر ربّهمْ وقالُوا يا صالحُ ائْتنا بما تعدُنا إن كُنت من الْمُرْسلين (٧٧) فأخذتْهُمُ الرّجْفةُ فأصْبحُوا فى دارهمْ جاثمين (٧٨) فتولّىٰ عنْهُمْ وقال يا قوْم لقدْ أبْلغْتُكُمْ رسالة ربّى ونصحْتُ لكُمْ ولكن لاّ تُحبُّون النّاصحين ﴾ [الأعراف: ٧٣ - ٧٩].

ويقول المولى عز وجل عنهم أيضًا:

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب (٦١) قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب (٦٢) قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير (٦٣) ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب (٦٤) فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب (٦٥) فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز (٦٦) وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٦٧) كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ﴾ [هود: ٦١ - ٦٨].

كما قال الحق جل شأنه: ﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين (٨٠) وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين (٨١) وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين (٨٢) فأخذتهم الصيحة مصبحين (٨٣) فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ [الحجر: ٨٠ - ٨٤].

وفي موضع آخر من القرآن الكريم يقول الله تعالى:

﴿ كذبت ثمود المرسلين (١٤١) إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون (١٤٢) إني لكم رسول أمين (١٤٣) فاتقوا الله وأطيعون (١٤٤) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٤٥) أتتركون في ما هاهنا آمنين (١٤٦) في جنات وعيون (١٤٧) وزروع ونخل طلعها هضيم (١٤٨) وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين (١٤٩) فاتقوا الله وأطيعون (١٥٠) ولا تطيعوا أمر المسرفين (١٥١) الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون (١٥٢) قالوا إنما أنت من المسحرين (١٥٣) ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين (١٥٤) قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (١٥٥) ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم (١٥٦) فعقروها فأصبحوا نادمين (١٥٧) فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٥٨) وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ [الشعراء: ١٤١ - ١٥٩].



وَجاءَ الانتقامُ

عندَمَا علم صَالحٌ عليه السَّلامُ بقتلِ النَّاقة حزنَ حُزنًا شَديدًا، وَقَالَ:

يَا قَـومُ، أَلَمْ أُحذِّرْكُم أَنْ تمَـسُّوا هَذه النَّاقَـةَ بسُـوء، لَقَدْ فَـعلتُمْ فِـعْلَ الكافرين، وصنعـتُم صَنيعَ المعَاندين، وبمَنْ تكفُـرونَ؟ ومَنْ تُعاندونَ؟ إنهُ اللهُ ربُّ العـالمينَ، ولَقدْ جنتْ أيديكـم مَا هُوَ سَـببٌ للعذَابِ الأليم، لَقَـدْ حقَّ عَليكُم غضبُ اللهِ، ويَاويلكُم مِنْ غضبِ القَادرِ، الَّذى لَستمْ لَهُ بمُعجزينَ.

وسَخرَ القومُ ممَّا يسمعُونَ، وأَجابُوا وهم يَستَهزِئُونَ:

وَما نوعُ ذلكَ الغضَبِ يَا صَالحُ، ومَا كَيفيَّتهُ، ومَتى سيحِلُّ عَلينَا؟ إذَا كَانَ ربُّكَ الذى تَدعونَا إليهِ قَادراً عَلَى ذلِكَ، فَأَرنَا مَاذَا سيفعَلُ، ولْيكنِ ذلكَ الآنَ في الحالِ.

وبوَحْيٍ منَ اللهِ تَعالَى قَالَ صَالحٌ عَليهِ السَّلامُ:

إنَّ غضَبَ اللهِ سَـيَحِلُّ عليْكمْ بَعْدَ ثَلاثَةِ أيامٍ، فَـانتظِرُوا وأَنَا معَكمْ مِنَ المنتظِرِينَ.

فَزَادَتْ سُخريةُ القَـوْمِ وَاستهزَاؤُهُمْ، وبدَءُوا حَملةَ إرهَابٍ يُخَـيفُونَ بهَا صَالحًا والذينَ آمنُوا مَعَهُ، وأَجْمعُوا أمرهُمْ عَلَى قَتلِ صَالحٍ، وَاخْتَارُوا الرِّجَالَ التسعَـةَ الَّذينَ قَتلُوا النَّاقةَ؛ لتنفِـيذِ مؤامرتِهمُ الثَّـانيةِ، لِيَستريـحُوا مِنْ صَالحٍ ودَعوتِه، ويَمكرُونَ ويمْكرُ اللهُ، وَاللهُ خَيرُ المَاكرِينَ.

ذَهبَ الأَشرارُ التسعَةُ لِيَقْتُلوا صَـالحًا، فأهلكَهمُ اللهُ جميعًا، إذْ أرسَلَ بَعضَ مَلائكتِه يَقذِفُونَ المجرِمينَ بالحجَارةِ، فَتصيبهُم فِى مَقاتِلَ فمَاتُوا قبلَ أنْ يصِلُوا إلَى صَـالِحٍ.

وَاستَـشاطَ القوْمُ غضَـبًا بعْدَ هلاَكِ أَشرارِهـمُ التِّسعَةِ، فَـاستَثارُوا بقَـيةَ النَّاسِ مِن حولِهمْ، وصَاحُوا:

أيهَا النَّاسُ، إنَّ صَالحًا قَد قَتلَ تسعَةَ أَشْخاصٍ منكُمْ، ويَجبُ القصَاصُ مِنَ القاتِلِ، وهذَا الأَمرُ بينَ أَيديكُمْ فَانتقمُوا لأَنفسكُمْ وخذُوا بثأْرِ المقتُولِينَ.

ولَكنَّ أغلَبَ القَومِ دَبَّ فِى قُلوبهمُ الرُّعبُ، وخَافُوا مِنَ المسَاسِ بصَالحٍ

وَمنْ آمنوا معَـهُ بأيِّ سُوء، وَلَمْ يقُدموا عَلَى تنفيذ المؤامَرة الثَّالـثة، وكَانَ هَذَا حمايةً من الله، ورعَايةً لنبيِّه صَالح عَليه السَّلامُ.

وَمرَّت الأيامُ، بَل السَّاعَاتُ والدَّقـائقُ، بَطيئةً مملَّةً، وَالقوْمُ ينتظرُونَ مَا سيـأتى خَلالَ ذَلكَ الوَقْت الَّذى حَدَّدَه لَهمْ صَالحٌ علَـيه السَّلامُ لحُلُول العذَاب بَعدَ ثَلاثة أيَّام.

وَجَاءَ اليوْمُ الأوَّلُ، وكَانَ فيـه الإنذارُ الوَاضحُ بحلُول العذَاب، فقَدْ أصبحَ القَوْمُ ليجـدُوا وُجوهَهُمْ، صَفَراءَ اللَّون، أَشَدَّ شُحوبًا وصُـفرةً ممَّا يَتخيَّلُ أىُّ إنسَان، فكَانَ الواحدُ منهُمْ ينظرُ إلَى جَاره وَصديقه ويَقُولُ لَهُ:

مَا هَذَا اللونُ الأصفرُ الَّذى يُغطِّى وجهَكَ اليَومَ يَا صَديقى؟

فَيضحكُ الصَّديقُ أَو الجَارُ، وهوَ يُشيرُ إلَى وَجْه صَاحبه قَائلاً:

لاَ، إنَّ اللونَ الأصـفَـرَ هُو الَّذى يُغطِّى وجـهَكَ أنتَ؟ فكيفَ ذَلكَ ولماذَا يَاتُرَى؟

وَيضْحَكُ القَومُ بعضُهم منْ بعضٍ غيرَ مُبالينَ.

وَفى اليَوْم الثَّـانى اشْتـدَّ الإنذَارُ، وظهَرتْ آيةٌ أخْـرَى لقرب حُلُول الانتقَام، فَأصبحَتْ وُجوهُ القوم كُلِّهم حَمراءَ فَاقعةَ الحُمْرة، وكَانَ منهم مَا كَـانَ في اليـوْم الأول، وَضـحكَ بَعـضُهـمْ من بعْض وكُلٌّ منهُمْ يسـألُ صَديقَـهُ: لماذَا وَجهُكَ أحمَـرُ هكَذَا يَاصَديقى؟فَيـجيبُـهُ الصَّديقُ: لاَ، إنَّ وجهَكَ أَنتَ هُوَ الذى تُغطِّيه الحمْرةُ وكأنَّكَ قَد اغْتسلْتَ اليومَ بالدَّم.

وَفى اليَوْم الثَّالث وَقعت الوَاقعَـةُ، وَإذا وُجوهُ الكَافرينَ كُلِّهمْ سَوداءُ بلَونِ الفَحْم، أَوْ كأنهَا طُليَتْ بَالقَار.

وتأكَّدَ العُصاةُ المتجبرُونَ أنهُ قَدْ حَانَ المصيرُ الأسْودُ كَلون وُجُوههمْ، وهُنَا غَـاضَت الضَّحكَاتُ، وضَـاعَت البسَـمَاتُ، وعلمُـوا أنَّ عذابَ الله آت، وتيقَّنوا أنَّ هلاكَهُم قَدْ أصبحَ وَشيكًا كأقربِ مَا يكُونُ.

وَجاءَ الانتقَامُ رَهيـبًا سَاحقًا مُدمرًا شَامـلاً، أرسَلَ اللهُ الصَّاعقَةَ منَ

السَّماء، وَزُلْزِلَت الأَرضُ زلزَالاً اهْتزَّتْ لَهُ الجبَالُ، فمَاتَتْ قُلوبُهُمْ، وكَانت الطَّاغيةُ التي طَغَتْ عَلَى حيَاتِهِمْ، وطمَسَت أَعينَهُمْ، تَلَتْها صَيْحَةٌ دَمَرتْ كُلَّ شَيء.

كَانَ مَا حَدَثَ أَشبهَ بزلزَال صَاعِق شَامِل، اهتزَّتْ لَهُ الجبَالُ، واقْتُلعَت الأَشجَارُ والنَّخيلُ، ومَاتَ الزَّرعُ، ونفَقَتِ الحيَّوانَاتُ، وكَانَ الانتقَامُ رَهيبًا، فهلَكَ كُلُّ الكَافرينَ.

مَاتَتْ قَبيلةُ ثَمودَ كُلُّهَا، بالصَّاعقَة، وبالرَّجفَة، والصَّيْحة، وكَانُوا نَحْوا مِنْ خمسَة آلاف أُسرَة ثَمودية، مَاتُوا كُلهُمْ إلاَّ صَالحًا والذينَ آمَنوا، فكَانَ الرَّجُلُ يهلكُ في أَيِّ مكَان كَانَ، إلاَّ رجُلاً واحدًا أَنجَاهُ اللهُ مِنْ هَذَا العذَاب، كَانَ في مَكَةَ يَحُجُّ ويطُوفُ بالكَعبَة المشرَّفة، وكَانَ اسْمهُ «أَبو رُغَال»، فعفَا اللهُ عَنْهُ وحمَاهُ، إذ كَانَ في حرَم الله وَفِي بيته الحرَامِ، فنالتهُ رَحمةُ الله، ونَجا مِنْ عَذابهِ الشَّديد..

أهل الإيمان هم الفائزون

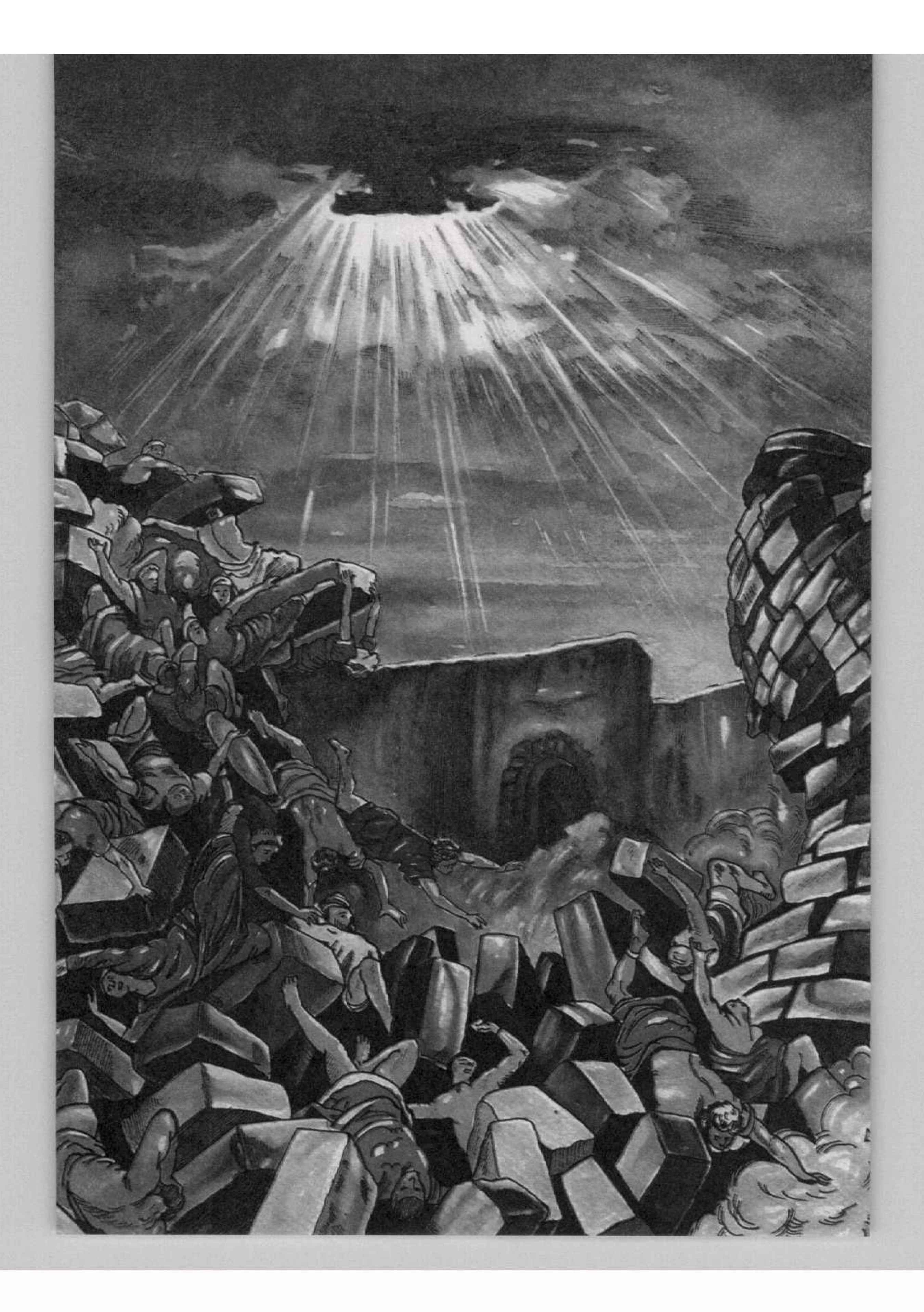
بَعدَ هدُوء الانتقَام، وهَلاك الكَافرين، ونجَاة المؤْمنينَ، اتَّجهَ صَالحٌ والذينَ آمنُوا مَعُه إلَى الشَّام، وكَانَ عَددُهم ثمانيةً وعشْرينَ نفسًا فقطْ، ويُقالُ أنهُمْ اتَّجهُوا إلَى مَكَّةَ المكَرَّمة، حَيْثُ عَاشُوا هُنَاك يعبُدُونَ اللهَ حَقَّ عبادَته، ويشكُرُونَهَ عَلَى نعمَة الهداية لَلإيمَان، وعَلَى نَجاتهمْ منَ الانتقَام الَّذى أَحَلَّهُ بالكَافرينَ، وعلَى جَزيلِ نِعَمِ اللهِ الَّتِي لا تَحْصَى ولاَ تُعدُّ، ولاَ يُوفِّي شُكرَهَا إلاَّ المُتَّقونَ.

وَيقالُ أنَّ صَالحًا عَليه السَّلامُ، مَاتَ وَدُفنَ فِي مكَّةَ المكرَّمة.

ولْنقرأْ آيَات أُخرَ يَذكُرُ اللهُ فيهَا خَبرَ قَوْمِ ثَمودَ مَعَ صَالحٍ عَليه السَّلامُ. قَالَ تعَالَى:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾ ﴾ [الشمس]





﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ٢٣ - ٣٢].

وقال عز من قائل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [النمل: ٤٢ - ٥٣].

وَهَكَذَا.. نَتَأَمَّلُ قِصَّةَ صَالِحٍ عليه السَّلامُ، فنجدُهَا تَدعُونَا إِلَى الإيمَانِ الكَامِلِ باللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالإخلاصِ لَهُ وحدَهُ، وَطاعة أوامره، وَاجْتنابَ نَواهيه؛ لأَنَّ ذلكَ يُحقِّقُ لنَا السعَادةَ فِي الدُّنيَا وَالآخرَةِ.

وَإِنَّ الصِّدْقَ مَعَ النَّفسِ، وَالوقُوفَ عِندَ آيات الله ومُعْجزَاته، والتَّصدِيقَ بهَا وتأمُّلَهَا، دَليلٌ عَلَى سَعَادة الإنسَانِ فِي الدنيَا وَالآخرَة، وَدليلٌ عَلَى قُدرة الله عَزَّ وجَلَّ؛ ولأَنَّ اللهَ هُوَ خَالقُ هَذا الكَوْن، ويجبُ الإيمَانُ بِذلِكَ، والتَّصديقُ القَلبيُّ والعَقليُّ مَعًا بَاللهِ وبقُدرته عَلَى كلِّ شيءٍ.

فمثلاً نقفُ أمام الزَّلازل، أوْ كُلِّ ما يسمَّى بالكوارث الطَّبيعيَّة، فنأخُذُ منهـا الموْعظَة والإيمانَ بقدْرة الله عَلَى الإحيْـاء والإفنَاء، ولا نَقولُ أنَّ الزلازَل والسُّيول ظَواهرُ طَبيعيَّـةٌ منَ صُنْع الطَّبيعَة؛ لأنها منْ قُدرة الله سُبحانَهُ وتعالَى؛ ولأنها منْ آياته التي يَجبُ أنْ نَتَّـعظَ بهَا ونَعتبر، ونَدعُو اللهَ ألاَّ تكُونَ عَاقبتُنا عذابًا بمثْل هَذه الآيات.

ولْنقفْ أمـامَ آيـات الله فِى الصَّبَـاح والمسَـاء، وعَلَى مَـرِّ السِّنينَ والشُّهـور وَالأيام والسَّاعَات، ولْنتـأمَّلْ فِى كُلِّ أنحاء الكون ومَا فـيه منْ مَخلوقَـات لنتعرَّفَ عَلَى مكْنُونَاتـهَا، ولنتذكَّرَ قـدرةَ الله عزَّ وجلَّ فيـهَا، وعلَى قدرَته فِى ابتلاء البَشر، ليَكُونَ ذَلكَ حَافزًا لَنَا عَلَى كَـمال الإيمَان والتَّصديق بكلِّ مَا جاءَ به الرُّسُلُ الذينَ أخـبرَنَا اللهُ تَعَالَى بأخبَارهمْ، ولاَ نُفرِّقُ بَينَ أحَد منْ رُسُله.

ولَعلَّ فِى قَوْل سيِّدنَا رَسول الله مُحَمَّد المصْطفَى ﷺ لأصحَابه وَهُوَ عَائدٌ منْ تَـبوكَ إلَى المدينة، عندَ مَـدَائن صَالح: «**لاَ تشـربُوا منْ مَائهَـا، ولاَ تُقيموا فيهَا؛ لأنهَا آيةُ الله إلَى يوم الدِّين**» لعلَّ فِى ذَلكَ القَوْل عظةً وعبرةً لَنَا، وصدَقَ رسُولُ الله ﷺ، فِى وُجوبِ الاعتبار بآيات الله العَظيمَة.

وَيجبُ عَلينَا أنْ نأخُـذَ العظةَ والعبـرَةَ منْ قصَّـة صَالح، وألاَّ نَغـترَّ بالصِّحة ولاَ بالمال؛ لأنَّ المالَ والصِّحَّةَ عَطاءٌ منَ الله، يَنبغِى الشُّكرُ عَليهمَا لله، وأنْ نُوجِّهَ نعمَهُ إلَى مَا يجعلُ حيَاتَـنَا وحيَاةَ المجتمَع الَّذِى نَعيشُ فيه حيَـاةً طيِّبَـةً سعيـدَةً، وألاَّ نتعـرَّضَ لغضَب الله وعَـذابه بسبب الجـحُود والنكْران، فهوَ سُبحـانَهُ يقُولُ فِى كتابه العزيز ﴿**لئنْ شكَرتُم لأزيدنَّكُمْ ولَئنْ كفرتُم إنَّ عذابِى لَشديدٌ**﴾ ولَقدْ صَدَقَ سبحَـانَه فِى قَوله، وبيَّنَ لَنا فِى كتَابه كَيفَ كَانَ جَـزاءُ شُكْرِ الشَّاكرينَ، وعقَـابُ كُفْرِ الكَافرينَ، وكَـيفَ كَانت العَاقبَةُ للمُتَّقين.